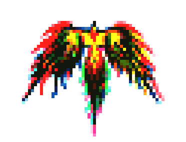
العبارة الصريحة في عالم التشبيح والشبِّيحة



مُحاولة مُتواضعة لفهم عالم، تخطت حدوده قواميس اللغة والجغرافية السوريّة، ليأخذ صبغة كونيّة وإن بلغة تشبيحيّة!



إعداد: فينيق ترجمة

https://ateismoespanarab.blogspot.com

05.07.2021

مُقدِّمة

لن نلجأ لأيّ قاموس بحثاً عن معنى "شبِّيحة" وكل ما يُشتَقُّ منها من أسماء وصفات وأفعال؛ سنلجأ إلى الشارع اللاذقاني، بداية، والسوري عامة لفكّ طلاسمها!

كتب الأديب الراحل ممدوح عدوان عن التشبيح في كتابه "حيونة الإنسان"، ص 135، الآتي:

"والتشبيح كلمة ممتلئة بالمعاني، فهي مزيج من الزعرنة والسلبطة والتبلي، وهي كل ما يقفز فوق القانون علنا".

يتم اختيار "الشبيحة" وفق معايير بدنية ونفسية معينة ومُتجردون من الإنسانية.

يُعتبرون أحد أقوى أسلحة مافيا الأسد في مواجهة الثورة.

يقترب معنى الشبّيحة من معنى بلاطجة (جمع بلطجي) المُستخدَمُ في مصر.

لنتفق بداية، على أنّ نطاق "التشبيح والشبّيحة" قبل الثورة السوريّة العظيمة قد اقتصر على مدينة اللاذقيّة، على نحو خاص، وأماكن سوريّة قليلة أخرى وربما لبنانية (تهريب وغيره).

كذلك لم يكن استخدام كل المُصطلحات التشبيحية حاضراً في المخيال السوريّ العام.

أما بعد اندلاع الثورة ضد مافيا الأسد الإرهابيّة، وظهور العسكرة وتدخل قوى عسكرية عربية وأجنبية كثيرة، الانقسام إلى مؤيد أو مناهض للثورات وللربيع العربي؛ ظهور تيارات يمينية أوروبية مؤيدة للدكتاتوريات العربية لكي تناهض اللجوء في بلدانها! فقد توسَّعَ استخدام مصطلح الشبّيحة ومتفرعاته الكثيرة، ليأخذ طابعاً كونياً.

هناك شبِّيحة للأعمال الإجرامية الصعبة ونبِّيحة للتشبيح الإعلامي!

هناك شبّيحة مافيا الأسد وشبِّيحة تسلقوا على جدران الثورة السورية وهم "شبّيحة المُعارضة"!

هناك شبّيح لبناني وآخر فلسطيني وآخر تونسي وآخر مغربي وآخر إماراتي ...الخ!

هناك شبّيح أميركي وآخر فرنسي وآخر صيني وآخر روسي وآخر إيراني ...الخ!

هناك شبّيح سياسيّ وآخر اقتصادي وآخر دينيّ وآخر إعلامي و......الخ.

يوجد أنواع لا حصر لها من التشبيح أي السلوك المُنافي لأبسط القواعد الأخلاقيّة العامة.

مسألة ظهور المُصطلح والمعنى والمدلول



بحسب الكاتبة السوريّة براء الموسى، وفي مقالها "عن الشبّيحة والتشبيح" المنشور في جريدة الحياة يوم 11 أيلول / سبتمبر 2011، فإنّ أصل المُصطلح يعود إلى "سيارة المرسيدس نوع الشبح":

"لا أعرف ما الذي يمكن أن يعتري مشاعر السيدة ميركل رئيسة وزراء ألمانيا، والتي تترأس الاتحاد الأوروبي حالياً فيما لو أدركت أن مصطلح «الشبّيحة» ألماني الأصل. فمصطلح الشبّيحة يعود إلى بداية التسعينات عندما أطلقت شركة سيارات المرسيدس الألمانية موديل الشبح. وقد اعتادت السلطات السورية على مكافأة أزلامها بأنواع من الرّشى المعنوية والعينية، وبخاصة أعيانها من الضباط العسكريين والأمنيين. وهكذا انتشرت سيارات المرسيدس الشّبحية كتعبير عن مدى نفوذ اصحابها، كما اقتناها بعض الأرستقراطيين من التجار السوريين في الوقت ذاته، كإشارة إلى تقاطع المصالح التي غدت متداخلة في ما بعد. لكن التمايز احتفظ لهؤلاء المتنفذين باللون الأسود لسياراتهم، مما يضفي بعداً شبحياً إضافياً. في تلك الحقبة من أوائل التسعينات كان لبنان الدجاجة التي تبيض ذهباً لمتنفذي السلطات وأزلامهم. فهو مصدرٌ لكل ما يُمنَع على السوريين استيراده عملاً بمقاطعة الشركات الرأسمالية الامبريالية وبخاصةٍ الأميركية، تبعاً لحجج المقاومة والصمود والممانعة عبر مقاطعة بضائع الغرب الرأسمالي، وذلك في عهد كان شعاره التحويل الاشتراكي.

قانونياً لم تُمنَح الحصانة لذوي السيارات السوداء من موديل الشبح التي استخدمت من قريبٍ أو بعيدٍ في حماية تهريب الممنوعات من وإلى سورية، ولكنها تمتعت بتلك الحصانة لقوة نفوذ أصحابها. غير أن تطورات المصطلح لم تعد مقتصرة على ذلك الموديل من العملاقة الألمانية «مرسيدس»، بل تعدته إلى موديلات أخرى سوداء، واستمر التعدي ليطاول ألواناً أخرى في ما بعد، إذ اكتسب مستخدمو هذه السيارات صفة الأشباح كونهم لا يُرون داخلها بسبب «تفييم» (تعتيم) النوافذ الزجاجية للسيارة رغم أنف قانون منع "التفييم".

ومع مرور الوقت انتقل المصطلح تدريجاً، وبعيداً من السيارات بأنواعها وألوانها إلى الأشخاص الذين يمتهنون عمليات التّشبيح)التهريب في الأصل من وإلى لبنان أولاً، ثم بين المحافظات السورية لاحقاً .(فبعد أن التصقت صفة التّشبيح بهم، راحوا يتمايزون بصفاتٍ أخرى وبأشكال متنوعةٍ ومتواليةٍ وفق «الموضة» السائدة لمن يتماهون معهم من الأشباح الكبار. فتارةً إطلاق اللحى تسود على سحناتهم، ومرةً حلاقة الشعر كلياً أو جزئياً، والشيئان معاً مراتٍ أخرى مع ما يترافق مع هذا «المود» من إكسسواراتٍ لاحقة. وبانتصارٍ مذهلٍ على الطائفية، لم يعد أمر التّشبيح حكراً على من سنّوا المنهج من الشّبّيحة الأصول، بل صار ذلك النهج نقطة استقطاب لمن يكتشف ذاته ويشعر بوجوده بممارسة مهنة التشبيح، بصرف النظر عن انتمائه الطائفي. لكن وفي كثير من الحالات، وعلى رغم تنوع اللهجات السورية، فإن اللكنة الأصلية للشّبّيحة الأوائل استمرت حتى على ألسنة أولئك الذين يبدلون القاف غيناً أو جيماً.

بعد انقطاع الأرزاق من لبنان سنة 2005 بانسحاب الجيش السوري، ازداد المصطلح اتساعاً وتنوعاً بعدما لم تعد الظاهرة حكراً على لونٍ معينٍ من الأشكال والسلوك. فكلُّ مخالفةٍ فظة للقانون استحوذت شرف لقب التّشبيح بامتياز. الأحداث الأخيرة في سورية مازجت بين الأصل الألماني للكلمة والمصدر الثلاثي الأصلي في اللغة العربية «شبح»، وذلك بدليل أن العصابات المسلحة التي تستغل جموع المتظاهرين المناوئين، وتعيث فيهم تقتيلاً وتنكيلاً، وفق زعم الإعلام السوري، من طبيعةٍ شبّيحيّةٍ في الاختباء والتخفي، والسلطات السورية حائرة أمام هذه الظاهرة العجيبة. في الواقع السوريون كلهم حائرون، حيث تخطى عدد الشهداء الألفين ولم تقبض بعد السلطات السورية ولو على شبحٍ واحدٍ، وحدهم الشهداء من يدفنون السّر معهم حتى اليوم، هذا لو استطاعوا إلى الدفن سبيلاً.

في قاموس الانتفاضة السورية الجديد يُعرّف الشّبيحة بأولئك الذين يهبّون لنجدة الوطن ويسومون سوء الضرب والتنكيل للمتظاهرين بعصيّهم وهراواتهم وسكاكينهم وسواطيرهم و «شنتياناتهم»، وبحمايةٍ مباشرةٍ من رجال الأمن، ومن ثم رجال الشرطة المراقبين، وفي الخطِّ الأخير يقف رجال الجيش متفرجين، ولا بأس في تبادل الأدوار باختلاف الظروف والمدن.

وقد اتسع المصطلح حديثاً ليضم التشبيح الإعلامي، من خلال التهديد والوعيد للمتظاهرين ومن وراءهم، وكذلك طاول المصطلح «الجنس اللطيف «ليشير إلى التشبيح الأنثوي. فما أن يدعو النظام للكرنفالات المؤيدة له، حتى يجد بعض الصبايا متنفساً للاستعراض، وإغواء المتفرجين بالمشاركة مما يضفي على المشهد تلوناً «وطنياً» يستغله شبّيحة الإعلام في أرقام المسيرات والمهرجانات المليونية الموالية. ولعله يجدر بي تنبيه أبواق النظام إلى تحري الدّقة لحجم الأعداد المشاركة في هذه الظواهر حفاظاً على سمعة الإعلام الحيادي. ليتهم يقولون مثلاً إن العدد الإجمالي لمليونيتنا الموالية هو مليون إلا واحداً أي 999.999 شخصاً، ذلك أن في الكرنفالات الاحتفالية الموالية التي تكثر فيها ظاهرة التّشبيح الأنثوي الاستعراضي الجميل، هناك واحد مكمِّل لتمام المليون من دون أن يكون موالياً، وهو – اللهم عفوك – أنا.".

أما في مقال "علي كيالي... التشبيح وتنظيره"، فنجد أن الشبّيحة ترتبط بشخص محدد هو "شيخ الجبل":

" تبدو المقارنة ممتعة بين رجلين بارزين من رجال الشبيحة، الأول هو "الزعيم التاريخي" والمؤسس شيخ الجبل، والثاني هو علي كيالي أو معراش أورال، قائد الشبيحة الأتراك ومؤسس حركة البشاريين التي توالي آل الأسد في أنطاكيا ومناطق لواء إسكندرون في الجنوب الغربي لتركيا.
تندر المعلومات حول شيخ الجبل في الأوساط العامة، لكن المعروف أنه ابن عم لبشار، اسمه الحقيقي محمد، وقد استعار لقبه الشهير هذا من شخصية تاريخية معروفة تزعمت الجبل أيام الصليبيين. ولكن، بخلاف هذه الشخصية التي اشتهرت بمزيج من الدهاء والقوة، عرف الشيخ الجديد بالقسوة الفظة والتهور وممارسة التهريب. ولحماية الطرق الجبلية الخاصة وخدمة قوافل الدخان والأدوات الكهربائية، ولأغراض الوجاهة، تراكم لدى محمد الأسد عدد متزايد من الأعوان الذين اختارهم من كبار الأجسام ومحدودي المحاكمة العقلية، مع ميل واضح إلى الاستعراض والبحث عن المتع. وعرف هؤلاء بالشبيحة منذ ذلك الوقت.".

أما في صفحة ترجمة عربي / إنكليزي، فقد وجدتُ هذه المعلومة:

فواز الأسد (1962 - 2015)، كان أول **الشبيحة** الحقيقيين وهو من أعطى المعنى المعروف اليوم لكلمة **الشبيحة** ومفهوم التشبيح وهو القيام بأعمال البلطجة.

Fawwaz al-Assad (1962 - 2015), was the first real **Shabiha** and gave the meaning known today to the word **Shabiha** and the concept of Tashbeeh that is to act like a thug.

في مقال "ميليشيات «الشبيحة».. قوات خاصة فوق القانون شكلها ابن أخي حافظ الأسد" القاهرة: حسام سلامة، نقرأ:

اتهم مواطنون سوريون قوات أو ميليشيا «الشبيحة» بإطلاق النار على المدنيين خلال المواجهات التي شهدها عدد من المدن السورية خلال الأسابيع الأخيرة، فمن هم «الشبيحة»، كما يطلق عليهم أهل سورية؟

هم مجموعة من العناصر المسلحة التي ينظر إليها السوريون على أنها فوق القانون، إذ تقوم هذه المجموعة بأداء مهامها «لإخضاع المواطنين» لكل طلباتها، لكن تحت رعاية أجهزة المخابرات وقوى الأمن والسلطات الرسمية، كما يمكن وصفها بأنها نسخة من عصابات المافيا الإيطالية، لكن بحماية خفية دائمة من النظام.

بدأ ظهور الشبيحة عام 1975 بعد دخول القوات السورية إلى لبنان، على يد مالك أسد «ابن الشقيق الأكبر للرئيس حافظ أسد» في أول عمليات تهريب المخدرات من لبنان إلى سورية باستخدام سيارة بلوحات من أحد أجهزة المخابرات السورية. واسم الشبيحة مشتق من كلمة «الشبح» في دلالة على أنهم أشخاص ينفذون مهامهم دون أن يراهم أحد أي كالأشباح.

ثم تزايد ظهورهم وتطورهم من مجرد مهربين إلى عناصر مسلحة، يتم اختيار أفرادها بعناية فائقة من أشخاص لهم صفات مميزة، محدودي العقل والثقافة، لهم بنية قوية وجسم ضخم، يتم تدريبهم تدريبا قتاليا عاليا، ويكون ولاؤهم المطلق لزعيمهم، الذي غالبا ما يسمونه «المعلم» للإشارة إلى قائدهم، وهو نفس التعبير المستخدم عند أفراد أجهزة المخابرات عند الإشارة إلى رئيس الفرع. تنوع التهريب ليشمل المخدرات والخمور والأسلحة والسيارات المهربة والمسروقة وقطع الغيار والأجهزة المنزلية وكل ما يمكن بيعه في سورية، بعدها امتد التهريب بين سورية وقبرص ولبنان وتركيا، واتخذوا موانئ طبيعية على الساحل لتكون مراكز التحميل والتفريغ وإعادة التصدير، وأحيانا يستخدمون الموانئ الرسمية ويتم ذلك بالتعاون مع الإدارات الرسمية عن طريق قطع الكهرباء لمدة كافية للتفريغ والتحميل، مما أدى ببعض العناصر إلى أن تمارس نشاطات أخرى، وفتح مكاتب لها في اللاذقية وجبلة وطرطوس لممارسة كل الأعمال «غير المشروعة، بالإضافة إلى إعادة المسروقات مقابل نصف قيمتها وأحيانا بكامل القيمة أو أكثر مثل السيارات الفاخرة للسياح والمصطافين أو المغتربين التي تحمل لوحات غير سورية، فأصحابها الحقيقيون يدفعون أكثر من قيمتها الحقيقية لإخراجها من سورية لئلا يضطروا لدفع غرامات باهظة تفوق قيمة السيارة عدة مرات في حال عدم إخراجها»، حسب مصادر مطلعة.

وأضافت المصادر أن من المهام الأخرى للشبيحة «فض الخصومات بين الناس والحكم لصالح من يدفع أكثر، ومشاركة جميع المخلصين في الجمارك في معاملاتهم بفرض نسبة مالية على كل معاملة تخليص جمركي، وفرض نسبة إضافية على التجار المستوردين، وفرض رسوم مالية على كل شاحنة تخرج من ميناء اللاذقية أو ميناء طرطوس».

وللشبيحة سجون خاصة يسجنون فيها من يخطفونه إلى حين قبوله بما يفرض عليه من تنازل عن ملكية، أو دفع مبلغ مالي نقدي، أو تطليق زوجته أو الاعتذار لـ«المعلم» عن سلوك أو تصرف لا يرضيه، بالإضافة إلى توظيف من يرغب مقابل مبلغ نقدي مباشر أو نسبة مالية من مرتبه الشهري لدى الدوائر والمؤسسات الرسمية، ويتم ذلك بإرغام مديري الدوائر الرسمية على قبول قوائم المرشحين التي يقدمونها.

واتهم سوريون عناصر الشبيحة بمهاجمة أحياء اللاذقية تحت حماية قوى من الأمن، وقتل العشرات خلال أسبوع من 25 إلى 31 مارس (آذار) الماضي، «فهم من يتكلم عنهم التلفزيون السوري الرسمي الذين يطلقون النار على المتظاهرين ورجال الشرطة تحت مسمى مجهولين وعناصر خارجية»، بحسب ناشطين سوريين.

نقرأ في مقال "الشبيحة: تشكيلات العنف غير الرسمي في سورية" لراتب شعبو، الآتي:

الشبيحة التقليديون في سوريا هم مجموعات صغيرة نسبياً (تتألف كل مجموعة من بضع عشرات من العناصر) تعمل كل منها لمصلحة شخص له صلة عضوية (قرابة) بالرئيس، هذا في اللاذقية مسقط رأس الرئيس، ومهد نشوء هذه الظاهرة. أما في بقية المناطق السورية فإن الصلة الوثيقة بمركز السلطة، ولاسيما المركب الأمني فيها، هو ما يعطي الشخص إمكانية إنشاء جماعة شبيحة خاصة به. وتتميز صلة عناصر المجموعة مع "المعلم" بتبعية عمياء ليس فقط لأن "المعلم" هو ولي نعمة كل فرد من أفراد المجموعة وحاميه، بل أيضاً لأن أي سلوك يوحي بعدم الولاء يمكن أن يكلف صاحبه الكثير، بما في ذلك حياته.

هذه المجموعات، التي تتألف غالباً من عناصر ضعيفة التأهيل الثقافي، تبث الرعب في المجتمع لسببين: الأول هو أنها خارجة عن أي ضابط قانوني أو أخلاقي ولا تحكمها سوى مصالح "المعلم" ومزاجيته. والثاني هو أنها مطلقة الصلاحية ولا تخضع لمحاسبة ولا توجد مؤسسة في الدولة يمكن أن تحمي المواطن منها. وفي اساس سلوك هذه المجموعات نظرتهم إلى البلد على أنه ملكية خاصة لمعلميهم، الشيء الذي يحيل أهل البلد في نظرهم إلى مملوكين لا أكثر.



تحولات ظاهرة الشبيحة مع بدء الثورة السورية

بعد اندلاع الاحتجاجات في سوريا، شهدت ظاهرة الشبيحة عدة تحولات جوهرية في أكثر من مستوى:

أولاً التحول التنظيمي:

جوهر التحول كان بالانتقال من حالة غير منظمة، أو ذات تنظيم مرتجل ومائع، إلى حالة التنظيم الهرمي الانضباطي إلى حدود لا بأس بها . على أن عملية تنظيم الشبيحة خضعت للعقلية السلطوية نفسها، التي نظمت أجهزة الأمن على مدى تاريخ الدولة الأسدية، والتي حرصت دائماً على عدم جمع الأجهزة في جهاز أمن مركزي واحد، فتجد في سوريا أجهزة أمن متعددة وأحياناً متصارعة يجمعها تبعيتها لرجل الأمن الأول في البلاد، الرئيس ومحيطه المقرب . هذا التعدد يضمن عجز أي رئيس من رؤساء الأجهزة هذه، عن تشكيل خطر على النظام . فيبقى رؤساء الأجهزة تحت رقابة بعضهم البعض وتنحصر طموحاتهم في دائرة التنافس فيما بينهم لإرضاء الرئيس.

يشكل هذا في الواقع، نوعا من الاحتياط الإضافي، ذلك أن الرئيس يختار رؤساء أجهزة الأمن بدقة بالغة ووفق معايير مضبوطة: يأتي الولاء المنزّه عن الشكوك في مقدمتها، فيضمن بذلك العامل الذاتي (الولاء للرئيس)، ولكن يبقى العامل الموضوعي (توفر القدرة على الإطاحة بالرئيس) هو الأهم، لأن الموالي إذا استشعر في نفسه قوة ما تمكّنه من أن يحل محل مولاه فإن ذاته سوف تتوق إلى تجاوز حدود الولاء وقد يتحول في لحظة من خادم مطيع لمولاه إلى جلاد له . وتدخل في هذا الإطار قصة انتحار اللواء غازي كنعان الذي كان المسؤول الأمني عن الملف اللبناني في الحكومة السورية، حيث تشير التقارير إلى أنه كان يخطط لانقلاب عسكري مستفيداً من الضغط الدولي المتزايد الذي كان يتعرض له النظام السوري، عقب اغتيال الرئيس رفيق الحريري في شباط 2005، والحقيقة أن اللواء كنعان كان قد بلغ مستوى "خطيراً" من القوة والشهرة، بحيث بات يمكن أن يستجيب لنوازع نفسه بالحكم ويشكل خطراً على سلطة الأسد.

العقلية الأمنية نفسها التي تحكمت على مدى عقود في تنظيم الأجهزة الأمنية، تحكمت في إعادة تنظيم "الشبيحة" فجاء تنظيمها على صيغة تنظيم مشابهة لتنظيم الأجهزة الأمنية . كتائب متعددة لكل منها "زعيمها" تجمعها مصلحة مشتركة وحيوية في الحفاظ على النظام، وتعود في تبعيتها السياسية والإدارية إلى السلطة المركزية التي تعمل على توزيع المهام وتحديد القطاعات بين الجماعات وعلى فض النزاعات التي يمكن أن تنشأ فيما بينها . ويبقى الفارق بين هذه التشكيلات القتالية التي تسمى (الشبيحة) والتشكيلات القتالية النظامية (قوات الأمن، القوات المسلحة) أن تبعية الشبيحة تعود إلى أشخاص لهم علاقة عضوية بالسلطة، أي علاقة قرابة مع عائلة الأسد، في حين لا يتوفر هذا الأمر في القوات النظامية . ويُشتق من هذا الفارق فارق آخر يتعلق بأخلاقيات العناصر هنا وهناك، حيث من المعروف أن القوات النظامية تتكبد مشقة المهام العسكرية والقتالية في حين يتولى الشبيحة مهام السرقة وتحصيل الغنائم، إضافة إلى المهمة الأقذر وهي ارتكاب المجازر وإحراق القرى . ولاسيما أن هذه التشكيلات كانت موكلة باستلام المناطق التي يتمكن الجيش النظامي من "تحريرها"، لكي تصد عودة عناصر المعارضة المسلحة إليها بعد أن يغادرها الجيش . هذا يعني أن هذه التشكيلات تستلم القرى والأحياء وقد خلت من مقاتلي المعارضة ومن السكان، وباتت المنازل جاهزة لكل أشكال النهب، بما في ذلك حتى سرقة قطع البورسلان عن الجدران وأشرطة الكهرباء ومواسير المياه وما إلى هذا، كما نقل الكثير من الأهالي وكما روى بعض عناصر هذه التشكيلات نفسها.

وجاءت الخطوة التنظيمية الأهم لهذه التشكيلات (التي حملت اسم اللجان الشعبية قبل ذلك) حين صدر مرسوم جمهوري في الشهر الأول من 2013، يقضي بتحويلها إلى "جيش الدفاع الوطني"، ما يعني ترسيم هذه الحالة وتوفير مخصصات لها من الدولة في الرواتب واللباس والتأمين وما إلى ذلك.

وقد استقطب هذا الجيش أعداداً كبيرة من المتطوعين الذين طمعوا بتأمين دخل إضافي عن طريق الانضمام إليه، ولكن الأهم من هذا هو أن العضو الذي يتم دعوته إلى الاحتياط أو إلى أداء الخدمة الالزامية، يمكنه أن يفر منها الى هذا الجيش الذي كلف المنضوين تحت لوائه بالدفاع عن مناطق سكنهم فقط، اي دون أن يتم نقلهم إلى مناطق أو محافظات بعيدة. وهذا شكل عامل جذب كبير للشباب، لتفادي الذهاب إلى المناطق الساخنة البعيدة. يقول نادر وهو شاب علوي في الثلاثين من عمره كان يدرس الادب الانجليزي قبل اندلاع المعارك "احصل على 15000 ليرة (158 دولارا) شهريا ويسمح لي بالاحتفاظ بحصة من كل ما ينهب بعد أي معركة اخوضها." ويضيف "لا اريد ان اقتل في مكان آخر غير حمص.. اريد ان اقاتل من اجل ارضي لذا حين استدعيت للخدمة انضممت لقوات الدفاع الوطني واعطوني نموذجا مختوما وتوجهت به لمكتب التجنيد التابع للجيش" غير أنه لم يتم الالتزام بهذا الوعد، فمع احتدام المعارك في مناطق بعيدة جرى استدعاء أعداد كبيرة من عناصر قوات الدفاع الوطني إلى تلك المناطق البعيدة، ولقي الكثير منهم حتفه بعيداً عن مناطق سكنهم، المصير الذي ظنوا أنهم هربوا منه باختيارهم الانضمام إلى قوات الدفاع الوطني.

وعملياً يُخيّر هؤلاء الشباب المنضوون تحت راية قوات الدفاع الوطني بين العمل على حواجز التفتيش، أو الانضمام إلى الوحدات التي تقاتل على خطوط التماس. على أن من يختارون العمل على الحواجز لا نصيب لهم من الغنائم التي تحصل عليها الوحدات التي تعمل على خطوط التماس.
وبشكل عام شهدت تشكيلات العناصر غير الرسمية هذه بعد اندلاع الثورة في سوريا تغيرين اساسيين من الناحية التنظيمية، التغير الأول هو انتظامها في هيكلية هرمية على رأسها "زعيم" مقرّب من آل الأسد، كما قلنا، والتغير الثاني إلقاء غلالة رسمية على هذه التشكيلات عبر المرسوم الذي جعل منها "جيش الدفاع الوطني" وذلك لتغطية عمليات الإمداد والتمويل لها.

ثانياً التحول الوظيفي:

الأساس في التحول الوظيفي، هو الانتقال من كون هذه الجماعات مرتبطة بأشخاص وتعمل لحسابهم ووفق مصالحهم الشخصية، إلى كونها جماعات ترى نفسها معنية بمواجهة خطر يتهدد النظام ككل ومن ضمنه هؤلاء الأشخاص . أي حدث تحول في ترتيب الأولويات بما يعني جعل الدفاع عن النظام الأولوية الأولى على اعتباره حاضنة مصالح جميع "المعلمين". كانت وظيفة الشبيحة قبل الثورة تقوم على تأمين الأموال وتسيير مصالح "المعلم" بشتى الطرق غير القانونية مثل التهريب، وفرض الخوات مقابل الحماية، وتحصيل حقوق الناس مقابل مبالغ مالية كبيرة يمكن أن تصل إلى أكثر من نصف قيمة الحق الذي يحصلونه للمظلوم، وخطف صبايا جميلات حسب أوامر ورغبات "المعلم"، وممارسة الترهيب على الناس المعنيين لتحصيل تنازلات معينة، كأن يتم إرهاب المراقبين في قاعة امتحانات لتمكين طالب معين من الغش، أو الضغط على أستاذ في الجامعة للحصول على أسئلة مادته والمتاجرة بها، أو الضغط على الاستاذ لتعديل علامة أحد الطلاب المشمولين برعاية "المعلم" وما إلى ذلك. وفيما يلي شهادة أحد أساتذة جامعة تشرين (اللاذقية) عما تعرض له في فترة تدريسه في تلك الجامعة:

(تعرضت عام 1992 لابتزاز من جماعة مسلحة تضرب بسيف أحد المتنفذين الخارجين على القانون, وصاروا يفاوضونني لتعديل علامة طالب تربطه صلة قرابة بزوجة أحد أقطاب شبيحة اللاذقية في التسعينات بينما تلامس فوهة البندقية جسدي، وذلك أمام مجموعة من الدكاترة المنهمكين في متابعة إحدى مباريات كرة القدم في نادي المعلمين بجامعة تشرين, حيث كنت أسكن. عشرون دقيقة من الرعب اختبرت فيها كل قدرتي على التماسك واللعب على الكلمات على خلفية القشعريرة التي تدب في جسدي في دورات متلاحقة..).

وهذا ما كتبه روائي سوري معارض عما تعرض له على يد الشبيحة وما دفعه للكتابة عن هذه الظاهرة:

"فجأة ادلهّم ذلك الليل، ورماني بصورة هائلة لشابين، كانا قد أوسعاني ضرباً وأورثاني ستّ قطب في رأسي فجر 2001/1/31. وقد قُيدت القضية ضد مجهول، ليس في سجلات الشرطة والقضاء فقط، بل في جسدي وفي روحي. ولعل هذا وحده يكون كافياً لأن يجعلني أكتب عن الشبيحة".
ومع تعرض النظام الحاضن لظاهرة الشبيحة للخطر، طُرحت على الشبيحة وظيفة جديدة، لا تلغي الوظيفة السابقة، بل تجعلها تفصيلاً قليل الأهمية قياساً على الوظيفة الجديدة والتي هي "الدفاع عن الوطن" حسب اللغة السياسية للموالاة التي تماهي بين الوطن والنظام. وهذا التغير في الوظيفة أحدث تغيراً مهماً في علاقة الشبيحة مع مجتمعهم المحلي بشكل أحدث تحولاً كبيراً بين مفهوم الشبيحة ما قبل الثورة وما بعدها.

ومن مظاهر هذا التحول بروز شخصيات تحمل تعريفات مثل (باحث استراتيجي) أو (محلل سياسي) وتقوم بوظيفة الدفاع الإعلامي عن النظام إذا جاز القول. وتتجلى مواصفات التشبيح عند هؤلاء في إظهار الولاء التام للنظام بصفته "المعلم العام"، وفي استسهال تخوين كل من يعارضهم في القول، وفي تهديد وإرهاب الخصم السياسي حين تنسد السبل أمامهم. ولا بد من القول إن هذه الظاهرة تفشت بشكل واضح حتى بين أنصار الثورة، حيث برز من بين أنصار الثورة من يبز شبيحة النظام بطريقة دفاعه عن الثورة سواء في شكل الدفاع أو حتى في مضمونه.

في مقال "تاريخ الشبيحة في سورية" منشور بمدونة دحنون، يرد الآتي:

كان الشبيحة منذ أوائل الثمانينات وحتى أوائل التسعينات عبارة عن عصابات متفرقة لمجموعة منتقّذة من عائلة الأسد ذلتها، أشهرهم على الإطلاق، فواز الأسد، منذر الأسد، محمد الأسد الملقب بشيخ الجبل، وقبل وجود هؤلاء الأئخاص كان ثمّة خيوط للشبيحة لكنها كانت بسيطة بالمقارنة مع الفترة التي أنتج فيها هؤلاء شبيحتهم.

لم يكن ثمة تنسيق فيما بينهم، لا بل على العكس كانت النزاعات كبيرة ومتعددة الأسباب، منها ما يتعلق بالتهريب ومنها ما يتعلق بإيجاد أسواق تصريف وخلق مناطق نفوذ، ومنها ما يتعلق بما اصطلح على تسميته بتشبيح الحارات والمقصود بتشبيح الحارات هو أن يكون لكل زعيم حارته الخاصة به والتي يلحق بها عادة منزله الخاص به وسجنه ومبيت لحرسه الخاص إضافة لكراج لآلياتهم، بالاضافة للمستودعات.

وفي بداية التّسعينات عاد رفعت الأسد إلى المشهد السوري من جديد، وأنشأ شبيحته الخاصة به، والتي طغى على عملها الطابع الاقتصادي.

وفي عام 1993 تعرض الشبيحة لمحاولة تدجين من قبل النظام الحاكم بغية جعلها محل طاعة النظام. وكان باسل الأسد قد شنّ حملة تم وصفها بالعنيفة على الشبيحة وعلى زعاماتها من الأسرة الأسدية ذاتها، أسماء قليلة من الأسرة الأسدية دخلت السجن لفترات لا تذكر، ولكن قسماً كبيراً من الشبيحة دخل السجون ومنهم من بقي سنوات عدّة، وهنا انتقلت ظاهرة التشبيح من مرحلة التنافس المافيوي لمرحلة طاعة النظام ذاته والعمل تحت جناحه.

تجلّت ظاهرة التدجين هذه بدخول أسماء كثيرة من زعامات الشبيحة إلى المؤسسات العسكرية والأمنية، وساهم ذلك بإضفاء طابع عملياتي على الشبيحة ذاتهم، ونقلهم من ساحة العمل الفوضوي – بحكم ولائهم لزعامات متنافسة- إلى العمل وفق أجندة محددة باعتبار دخول تلك الزعامات إلى جهاز الأمن أو الجيش كضباط وأبرز هؤلاء: هائل الأسد، هلال الأسد، حافظ مخلوف، نمير الأسد، فؤاد الأسد وغيرهم؟

وفي هذه المرحلة وحتى اليوم تمّ تخصيص مخازن خاصة لأسلحة الشبيحة ومستودعات لموادهم ومعداتهم ضمن ثكنات الجيش نفسها، هذه المستودعات تخضع لحراسة خاصة (من الشبيحة أنفسهم) وبشكل مستقل عن إدارة الثكنات العسكرية.
تم توزيع مهام الشبيجة وفق التخصصات التالية:

١- شبيجة بطابع اقتصادي:

مهمتها الأساسية فتح شركات ومعامل ونوادي والعمل في التجارة والعقارات، وذلك لتكوين حاضنة للشباب الراغبين بالعمل، ومن ثمّ يتم فرز هؤلاء كعمال أو كقياديين أو مخبرين أو مهربين (كلّ حسب مواهبه!!).

٢- شبيحة بطابع أمني:

وتكون على علاقة مباشرة مع أجهزة الأمن ولكنها بهيئة مدنية (وسيتم الحديث عنها بشكل مفصل في المقال القادم).

٣- شبيحة بطابع ديني:

وهي شبيحة بسمة دينية (من كلّ الطوائف) مهمتها الأساسية خلق مرجعية دينية واحدة، وهذه المرجعية في الحقيقة هي جهاز الأمن ذاته، وبالتالي النظام ذاته!!.

ليس بالضّرورة أن يكون الشّبيح منتمياً للطائفة العلوية (بالرّغم من انتماء معظمهم لهذه الطّائفة) فهم موجودون ومتوزعون في كلّ المحافظات، ولا يعقل أن يكون شبيحة المحافظات الجنوبية أو الشرقية أو الشمالية من العلويين فقط.

لم يختلف عمل الشّبيحة في المرحلة الحاليّة عنه في أواسط الثّمانينات أو التّسعينات وتمثّلت أعمالهم بالاستيلاء على الأراضي، شرائها بأسعار بخسة تحت الضغط، تهريب وتجارة المخدرات، تجارة السلاح، تهريب المواد الأوليّة، إضافة لفرض أتاوات على التجار والصناعيين في سوريا قاطبة، لكن الفرق هو أنّ هذه المرحلة أصبح عمل الشبيحة برعاية النّظام ذاته وتوضّح ذلك بشكل سافر عندما اندلعت الثّورة في سوريا.

المهمّة الأساسيّة للشّبيحة خلال الثّورة السّورية هي حماية النّظام بأوقح شكل ممكن، وبأشنع الطّرق المتوفرة لديهم، فلقد كان الشّبيحة خط الدفاع الأول الذي أعدّه النظام مسبقاً، حيث قام الشّبيحة بكلّ أعمال الخطف والقتل والاغتصاب وإطلاق النار على المتظاهرين بالإضافة لأعمالهم التشبيحية الاعتيادية من تهريب وتجارة مخدرات وقبض أتاوات وغيرها..

ويتم تكليف الشبيحة بمهام ذات طابع اجرامي كالاعتداء على أملاك بعض المعارضين أو الاعتداء عليهم بالضرب أو القتل والتمثيل بالجثث وما إلى ذلك من الجرائم التي يحاول النظام الهروب من تحمّل مسؤوليتها عن طريق اعتبارها أعمالاً قامت بسبب الفوضى أو انعدام الأمن.

ويجب التّمييز بين الشّبيحة كفئة تستفيد بشكل مباشر من النظام وبين المدافعين عنه أو (المنحبكجية) والذين ينتمون لفئات الشعب والذين قد يقومون أيضاً إلى جانب الشبيحة بعمليات تنكيلٍ وقمعٍ وضرب للمتظاهرين السلميين خلال الثورة السورية، ففي هذه الفئة يتواجد من له مصلحة معَ النظام بحكم وظيفته، أو مصالحه، أو طائفته، أو توجهه السياسي، إضافة للمغلوبين على أمرهم من الأشخاص الذين يضطرون لممارسة أعمال التنكيل بسبب وجودهم في عمل معين أو ضمن طائفة معينة.

رجل الأمن في سوريا يدخل سلك الأمن وفق عقود معينة ويخضع لدورات أمنية متعددة ليصبح رجل أمن ضمن جهاز أمنيّ معين من ضمن الأجهزة الأمنية الأربعة العملاقة في سوريا وأهمها:

1- جهاز أمن الدولة:

ومقرّه الرئيسي في كفرسوسة أهم فروعه : الفرع 295 أو فرع المداهمة والاقتحام ، الفرع 253 ، فرع التجسس ، فرع المعلومات، وعدد من الفروع في بعض المحافظات.

2- جهاز الأمن العسكري:

أهم فروعه: شؤون الضباط أو الأمن العسكري، فرع الحاسب الآلي، الفرع الخارجي، فرع سعسع (مخابرات الجبهة، فرع الدوريات، فرع فلسطين، فرع اللاسلكي، وعدد من الفروع في بعض المحافظات.

3- الامن السياسي:

فرع دمشق في المزة، فرعا ريف دمشق والتحقيق في منطقة العدوي، فرع الميسات، فرع حماه.

4- المخابرات الجوية.

وسنتحدث بالتفصيل عن أجهزة المخابرات في سوريا وفروعها في مقال قادم.

ينتقل رجل الأمن من رتبة إلى أخرى وفق الشّهادة الدّراسية التي يكون قد حاز عليها خلال سنوات دراسته قبل التّطوع.أمّا الشبيحة فهم رجال أمن وفق عقود أمنيّة واضحة حيناً وشكلية أحياناً أخرى، أو بلا عقود على الإطلاق، لكنّهم رجال أمنيّون يتفوقون على رجال الأمن بمزايا التشبيح والنفوذ، وصلاحياتهم تتسع بالتّناسب مع مدى سلطة الشخص الذي يعملون لديه والذي يكون بالتأكيد أحد أفراد الأسرة الأسديّة.

في مقال "في الشبّيحة والتشْبيح ودولتهما – ياسين الحاج صالح"، نقرأ الآتي:

" خرجت من سورية، ولا فخر، كلمة الشبيحة إلى العالم ولغاته، بينما كان المسمى يخرج إلى « الشارع » السوري كالجنّي، يروع ويقتل، ويكره ويقذع في البذاءة. « يُشبّح ». ودخلت اللغة العربية ذاتها كلمة لم تكن معروفة خارج سورية، بل لم تكن معروفة في سورية نفسها على نطاق واسع. ولم تلبث أن أدرجت في عائلة من الكلمات النسيبة: شبّح، يشبّح، تشبيحا؛ وأن جُعلت علما على الموالين للنظام، يقابلها « المندسون » التي استصلحها المعارضون الشباب عنوانا جامعا لهم؛ وأن أدخِلت في سياقات جديدة :شبيحة القلم (رنا قباني)، شبيحة المعارضة، شبيح الفلاسفة، وهذا لقب سوري لبرنار هنري ليفي.

أصل الكلمة غير واضح: هل هي مشتقة من أشباح، لكون الشبيحة خارجون على القانون يعملون في الظلام، بالمعنيين الحرفي والمجازي، ويظهرون ويختفون بسرعة؛ أم من سيارة المرسيدس « الشبح« ، المنزوعة النمرة، والمجهولة الهوية تاليا، التي يبدو أن كبار الشبيحة يفضلونها في عملياتهم وتمييز أنفسهم؟ أم ربما من « تمديد الصلاحيات وتعريضها وتوسيعها »، على نحو ما يجري تمديد الشخص وتعريضه، شبْحه، بأن يقف على طوله وذراعاه ممدودان على جانبيه؟ « الصلاحيات » هي التخويل الرسمي بعمل ما، و » التمديد والتوسيع والتعريض » هو ما يفترض أن الشبيحة يقومون به".

أما في مقال "عن الشبّيحة وسادتهم وذاكرة بلون الخوف!" للسيِّدة روزا ياسين حسن، فنقرأ:

(إلى مدينتي اللاذقية: أيّ قدر وسمَك بكلّ هذه الذاكرة!!)

حين أتى "أبو رمّاح" إلى حارتنا في مدينة اللاذقية كانت تبدو سيماء (التّشبيح) عليه: رأس محلوق ولحية طويلة غير مشذبة وكرش ولباس مموّه!. كنا في أواخر الثمانينيات وقتذاك، وكانت الأيام تبدو كأنها قطعة منسية من فيلم تراجيدي قديم بالأسود والأبيض.

بدأ بإخراج كراسيه إلى الحارة واستقبال ضيوفه هناك، وبالتالي كان يعلّق ساخراً على الرائح والغادي أياً كان. ولطالما سخر مني وأنا أنوء بثقل أكياس السكر والرز قادمة من طابور طويل أمام المؤسسة الاستهلاكية. ثم صار يصفّ سياراته في الحارة، ومن بعد غرز ثلاثة قضبان حديدية ثخينة على باب الحارة وبينها سلاسل معدنية فأغلق الحارة تماماً! ولم يجرؤ أحد حتى اليوم على سؤاله: "من أين أتيت بهذا الحق؟".. مع الزمن صار اسم الحارة "حارة أبو رمّاح"، حتى نحن كنّا ندلّ رفاقنا على بيتنا: "في البناية الملاصقة لحارة أبو رمّاح.. عرفتها؟!".. مع مرور الوقت كذلك زرع "أبو رمّاح" نباتاته في الحارة ونصب شادراً دائماً ومراجيح لأطفاله، فقد صارت الحارة حقاً مكتسباً له، كما صار البلد حقاً مكتسباً للشبّيحة أمثاله وأسيادهم.

أعتقد أن سنوات الثمانينيات وأوائل التسعينيات تلحّ على الكثيرين من أبناء مدينتي اللاذقية، كما تلحّ عليّ في الآونة الأخيرة، ربما لأن الكثير مما يحدث اليوم شبيه إلى حدّ بعيد بما حصل في ذلك الوقت: الخوف، الترقب، الحذر.. والشبيحة.

الشبيحة كانوا مرافقين لطفولتي ومراهقتي، ولسوء الحظ كانت المنطقة التي نسكن فيها مليئة ببنايات يتراكم الشبيحة أمام بواباتها ليل نهار. لم أفهم البتة، كما لا أفهم اليوم، ما السبب الكامن وراء كل تلك الغطرسة والكبرياء و"الاستفشار" الذي ينثال منهم، والذي لا يجاهدون لإخفاءه أمام أي شخص كبر أم صغر. ولطالما رأيت رجالاً محترمين يمرّون من أمامهم، وهم يحتلون رصيفاً ما، مطرقين إلى الأرض ومهرولين خوفاً، وإن سمعوا بآذانهم شتائم أو عبارات ساخرة منهم سيتظاهرون بأنهم لم يسمعوها.

سيبدو طبيعياً للغاية أن نرى مجموعة منهم يتسابقون بسياراتهم في شوارع المدينة الضيقة وبأقصى سرعة، يروّعون الناس بإطلاق النار في الهواء. في أوائل التسعينيات مثلاً حدثت حرب في شارع 8 آذار، وهو من أكبر شوارع المدينة، لأن شبيحة "بيت مخلوف" وشبيحة "بيت ديب" اختلفوا وراحوا يطلقون النار على بعضهم. قتل رجلان وامرأة كان القدر الظالم قد جعلهم يمرون هناك في ذلك الوقت، ومرّت الحادثة كأنها لم تمرّ!!

كان من الطبيعي أيضاً أن يُعجب أحد الشبيحة بسيارة جديدة لأحد شباب المدينة، فيلحقون بها وينزلونه منها ثم يأخذونها تاركينه مذهولاً ومرعوباً في وسط الشارع. أو يعجب أحدهم أيضاً بفتاة جميلة فيختطفها إن لم تقبل الخروج معه من تلقاء نفسها، وحدث ولا حرج عن بيوت دوهمت واختطف من فيها، وما إلى ذلك من حكايات تكاد تقارب الخيال لكنها واقع حقيقي تشهد عليه ذاكرة (اللوادقة) حتى اليوم.

أستاذي في الجامعة "سمير غفر" قتل في أوائل التسعينيات وهو واقف على موقف الباص، مع ثلاثة رجال وامرأة حامل، لأن هناك سيارة مسعورة لم يستطع سائقها التحكم بها، ولم يعاقب ذلك السائق/ الشبّيح بالتأكيد. كنا لا نجرؤ على الحديث عنه خوفاً من "الجدران التي لها آذان" على

الرغم من أن أحاديث مرعبة عن رأسه التي فصلت عن جسده كانت تتطاير هنا وهناك. صديقي في الجامعة "حسان الأعسر" قتل أيضاً لأنه دافع عن فتاة التجأت إليه في باص الدولة، وكان عدد من الشباب/ الشبيحة يطاردونها. هو الآخر غيّبناه عن أحاديثنا خوفاً لكن صورة السكين التي انغرزت في كتفه ووصلت القلب لم تغادر ذاكرتي.. والد حسان غادر البلاد بعد تلك الحادثة من غير رجعة. أما "هالة العاقل" فاسم مازالت اللاذقية تهرج بقصته، وهي فتاة اختطفها الشبّيحة واغتصبوها، ثم ألقوها عارية ومقتولة أمام باب بيت أهلها.

كان يمكن لأي معاون باص أن يهين أي راكب دون أن يستطيع الأخير "الخائف" الرد لأن المعاون من الشبيحة، وكان يمكن لأي جاهل أن يروّع حياً بأكمله دون أن يجرؤ أحد على الرد لأنه (منهم). الشبيحة وسادتهم كانوا القانون والدولة، وهم الزعماء وهم "الفصل والحكم".

أرى الشبيحة اليوم ينتشرون من جديد في شوارع المدن السورية، وليس في شوارع مدينتي فحسب، يشيعون الرعب أينما حلوا وكأنهم استيقظوا من سباتهم، لكن هذه المرة وجدوا لأنفسهم وظيفة جديدة، شكروا ربهم عليها، وهي ضرب المتظاهرين وتخويف المعارضين والناشطين وتفريغ تلك الشحنة الطاغية بداخلهم، خصوصاً وأنهم صاروا يُلبسون المهمة غايات وطنية، بما أنهم وأسيادهم يحتكرون المواطنة والوطن.

اليوم هناك الآلاف من "أبو رماح" يصولون ويجولون، وفي الكثير من المناطق السورية لم يحتج رجال الأمن أو الجيش للتدخل في قمع المظاهرات فقد قام الشبيحة بالواجب من كل قلبهم. ما يحدث اليوم ليس بجديد أبداً!! إنه نتاج سنوات طويلة مضت من التراكم، ولأنه كذلك فهو يحتاج إلى فضح وتهديم تلك الذاكرة المتجذرة فينا: ذاكرة الخوف.

(ملاحظة: كنت قد كتبت قبلاً عن "أبو رمّاح" باسم مغاير مخافة أن يصل إليه الأمر بطريقة ما، تستطيعون بالتالي أن تتخيلوا إلى أين وصل فينا تراكم الخوف!!).

أما ديمة سعد الله ونُّوس، فتقول في مقالها "عن الشبيح والتشبيح"، الآتي:

طويل القامة. عريض المنكبين. مفتول العضلات. يمشي رافعاً كتفيه قليلاً، وساعداه بعيدان من جسمه، يلوّح بهما بعنجهية. شعره قصير، بالكاد ينبت فوق رأس كبير. كبير بالوراثة أو التوريث. ملتح. في عينيه، نظرة إعجاب بالنفس. كأنه يتفرج على نفسه بعيون المارّة.

يستقل سيارة فارهة، من نوع "مرسيدس" على الأرجح. يقودها بسرعة رافعاً المكابح بين حين وآخر لتصدر عن السيارة حشرجة تسمّى "التشفيط". يركن السيارة أينما يشاء، في منتصف الشارع، على باب كراج ما، أمام مدخل عمارة، يعيق تحرّك السيارات الأخرى من دون أن يعترض طريقه أحد. سلطته فوق سلطة الجميع، بمن فيهم شرطي المرور.

يدخل إلى المطعم أو البار من دون حجز مسبق. لا داعي لأن يلقي التحية. فقط يدخل، وأول ما يظهر من جسمه هو كتفه الأيمن أو الأيسر لا فرق. يختار أي طاولة يريدها، حتى وإن كانت مشغولة، يستأذن مدير المكان من الجالسين ويعتذر بإحراج وربما يتصبب عرقاً. لا يبالي إن كان سيخسر الزبائن، كل الزبائن، المهم أن يلملموا أغراضهم ويتركوا الطاولة هذه تحديداً، وكأنهم لم يكونوا جالسين هنا، وكأنهم لم يكونوا أصلاً.

رفاقه يشبهونه إلى حدّ بعيد. ملابسهم تميّز واحدهم عن الآخر. عدا عن الملابس، يبدون نسخاً متشابهة، بأجسام بنيت ملامحها في الوقت ذاته، وعضلاتها استغرقت الزمن ذاته لتنبت. بعضهم لا يكتفي بالعضلات المفتولة، بل يفضّل تلك المنفوخة التي تبدو منفصلة عن الجسد، متفوّقة عليه، متفرّدة بذاتها، حتى تكاد تنطق.

عادة، لا يحتاج الشبيح للتسلّح بالعقل أو بالذكاء، حتى ولا بالسلاح. أمامه، تستسلم كل القدرات البشرية ومقاومته ليست سوى مغامرة تنتهي عادة بكارثة. وفي مواجهته، تفقد الحياة معناها. تصبح خبرات الإنسان التي اكتسبها في العلم والسفر والقراءة، مخزوناً لا فائدة منه. يتحوّل الإنسان نفسه إلى لا شيء. يفقد دفاعاته كلها ويصاب بحيرة إذ لا تسعفه الكلمات ولا المنطق ولا الخبرة ولا القوة.

الشبيح فكرة مجرّدة. يصعب تخيّله إنساناً طبيعياً مثلنا، يشرب القهوة صباحاً ويأكل ويختار ملابسه ويتسوّق ويشاهد نشرة الأخبار ولديه صداقات وحياة أخرى موازية يعيشها إلى جانب عمله التشبيحي. الشبيح هو كائن مستقلّ بحدّ ذاته. فصيل من الأحياء. ثمة إنسان وحيوان ونبات وجماد... وشبيح.

الشبيح سلاح أيضاً يستخدمه النظام في محاربة أعدائه. سلاح دقيق وفتاك يصلح للمهمّات الصعبة. هناك السكود والهاون والميغ والكيماوي والبرميل والشبيح. ما يميّز الشبيح عن سواه من الأسلحة، هو دقّته في تصفية الأعداء. في حين أن باقي الأسلحة، تقتل مجموعة من الناس وتدمّر مجموعة من الأبنية وتثير بلبلة إعلامية وسحباً من الدخان تتصاعد وتطفو في سماء المدينة. أما الشبيح، فباستطاعته إرهاب شخص بعينه وجرجرته إلى الاعتقال وتعذيبه وقتله ربما من دون خسائر أخرى.

الشبيح ليس مجرّد عميل للنظام. هو لا يمثّل النظام بل النظام يمثّله. سلطته فوق سلطة الجميع. وبمجرّد منحه تلك الصفة وتلك الصلاحيات، يصبح الأمر خارجاً عن إرادته. يصبح شبيحاً بالفطرة. والسيطرة عليه، تصبح مستحيلة، حتى من النظام نفسه. الشبيح لا يكتفي بمنافسة غيره من الشبيحة، بل هو ينافس النظام أيضاً في شدة البطش وفي القدرة على الإخضاع والسيطرة. والمنافسة هنا لا تثير امتعاض الطرف الآخر أو غيرته. بالعكس تماماً. تفوّق الطرف الآخر، يبعث على الفخر والسعادة. ربما كعلاقة الآباء بأبنائهم.

التشبيح ليس وظيفة أيضاً. إنه عمل تطوّعي باستطاعة أي شخص احترافه. وهو عمل مرن ومطواع، لا يجبرك على التواجد في مكان محدّد ولا على ارتداء ملابس محدّدة ولا على الاستيقاظ باكراً. كما في إمكانك ممارسته إلى جانب مهنتك الأصلية. هناك ممثل شبيح ورسام شبيح ونحّات وأستاذ جامعة وكاتب ولحّام وحدّاد. كما أنه فعل تستطيع المرأة ممارسته إلى جانب الرجل، حتى وإن كانت تفتقر إلى العضلات. وهو لا يحتاج إلى وقت مستقّل. باستطاعتك أن تمارسه في الوقت ذاته الذي تمارس فيه مهنتك الأساسية. تشبّح وأنت تمثل وأنت تطبخ وأنت تعطي درساً وأنت ترسم أو تنحت أو تتحاور مع أصدقائك ومعارفك وجيرانك. ليس ثمة أسهل من التشبيح. هو نمط حياة وليس مجرّد فعل. هو علاقة خاصة جداً بين الشبيح ونفسه. مثله مثل التصوّف، رياضة ذهنية، وتمرين يومي على السيطرة وابتلاع الآخرين وحشرهم في الزاوية وإخراسهم والصراخ عليهم.

الشبيح أخيراً، كائن شفاف، كالنسمة. تعيش معه سنوات طويلة، من دون أن تعرف أنه قد يشبّح إن لزم الأمر. تجلسان سوية على نفس المائدة وتأكلان وتشربان في صحة بعضكما البعض وتتبادلان الهموم والقصص والنكات، وتمرّ الأيام، وأنت تجهل تماماً أنك كنت تعيش مع شبيح. تجهل أصلاً

أن التشبيح، منطقة رحبة تتسع للأصدقاء، بعضهم كان معارضاً قبل الثورة. تتسع للفنان والمبدع والمثقف. تتسع للجميع متى وكيفما شاؤوا.



أهمّ مُصطلحات الشبّيحة والتشبيح

المُصطلح	المعنى أو المثال
التشبيح	صفة لسلوك إجرامي، متدرج من السرقة إلى القتل وما بينها من كذب واغتصاب وتهريب وفبركات بأنواعها. الفعل يُشبّح أي يُمارس التشبيح. لا تشبّح علينا: أي توقف عن التشبيح!
الشبّيحة	جمع شبّيح؛ أيّ ذكر يُمارس التشبيح
الشبُّوحة	مؤنث شبّيح؛ أيّ أنثى تُمارس التشبيح والجمع شبُّوحات
تشبيح إعلاميّ	تصريحات، يُدلي شبِّيح بها على وسائل الإعلام
تشبيح ديني	مواقف متنوعة، يتبناها شبِّيح مرجع ديني أو تابع له
تشبيح دستوري	تفصيل الشبّيح للدستور على قياسه: مثل تغيير مواد دستور المُجرم حافظ الاسد ليناسب ابنه الارهابي فيرث الحكم
تشبيح عقائدي	مزاودات وتخوين وتجريد من الوطنية والقضاء على أيّة ظاهرة نقدية
تشبيح اقتصادي	نهب المال العام وتكريس الفساد
تشبيح سياسيّ	اختزال الدولة "بشخص القائد الفذّ التاريخيّ"!
تشبيح ماليّ	استلام الحكم والدولار بليرات وبعد خمسين عام الدولار بآلاف الليرات!
تشبيح مؤامراتي	مُتآمرون، يتحدثون عن "مؤامرة"!
تشبيح فنّي	فنّانون شبّيحة، ينتقدون الحكم في الأعمال الفنيّة وينبطحون له في الحياة اليومية!
تشبيح عروبي	يوم "أمة عربية واحدة" وأيام "العرب جرب"!
تشبيح ثوريّ	تسلّق الثورة وسلوك وخطاب لا يختلف عن سلوك وخطاب الشبّيحة
تشبيح ديموغرافي	قتل أكثر من مليون شخص وتهجير نصف سكان البلاد لأجل تحقيق "انسجام في تركيبته"؟!
تشبيح حكومي	مواقف أيّ حكومة تستند على معنى التشبيح وتعتمد على الشبّيحة كمصادر ذات مصداقية
تشبيح عربي	توافق أيّ فرد عربي أو جهة عربية مع ممارسات الشبيحة وسلوك التشبيح
تشبيح دولي	توافق أيّ فرد أجنبي أو جهة أجنبية مع ممارسات الشبيحة وسلوك التشبيح
تشبيح إداري	الأقربون أولى بالمناصب – عضام الرقبة
تشبيح مناطقي	الاهتمام بمدن وإهمال مدن أخرى
تشبيح سياديّ	استدعاء احتلالات أجنبية وبيع ثروات البلد ومرافقه الحيوية
تشبيح عسكريّ	الاعتداء على أبرياء باستخدام القوة المفرطة
تشبيح أمنيّ	مُخابرات الإرهاب بشتّى فروعها
تشبيح إغاثيّ	إرسال مساعدات عينية إلى مخازن الشبّيحة الذين يفتكون بالأبرياء، الذين يجب أن يتلقوا تلك المساعدات بالأصل!
تشبيح لجوئيّ	نهب حكومات عديدة لمساعدات مخصصة للاجئين السوريين.

	مضايقة اللاجئين الهاربين من براميل المجرم بشار الاسد في كثير من الاماكن بالإضافة لاعتقال بعضهم وتسليمهم للشبيحة!
تشبيح جمهوريّ	أوّل جمهورية تُورّث الحُكم في العالم! عالم البهايم طبعاً!
تشبيح إصلاحيّ	شعارات لن تتحول إلى واقع أبداً!
تشبيح قانوني وقضائي	المُذنب بريء والبريء مُدان بالذنب!
تشبيح ثقافي	محاولة تجميل الاستبداد والفساد
تشبيح نخبويّ	المثقف الثوريّ لاعق الحذاء العسكريّ
المُختصر في التشبيح	قاموس المخابرات الأسدية الحصريّ؛ بحسب وسام ابراهيم من شباب السفير
تشبيح جهاديّ	ممارسات كل الجهاديين هي ممارسات تشبيحية حيثما حلوا وهيمنوا
تشبيح معارض	ممارسات تشبيحية لمعارضات سياسية وعسكرية متنوعة
تشبيح لفظي	"بدكين حريّة؟!"؛ "نحنا الدولة ولاااك!"؛ "بشار الاسد ربّك اللي خلقك ولاااك! ...الخ
تشبيح أثريّ	نهب وتهريب الآثار بصورة ممنهجة موثقة
مُؤسِّس التشبيح	المُجرم حافظ الأسد
الشبّيح الأكبر	الإرهابي بشار الأسد
شبّيح الفرقة الرابعة	الإرهابي ماهر الأسد
التشبيح الكوميديّ	دريد لحّام!
التشبيح الانتخابي	99.9 أو 94.3 أو 90.2 %

